

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[408] رأى بيته الواسع والمجلل تعجب كثيراً وقال: "ما كُنتَ تَصْنَعُ بِرِسْعَةٍ هَذِهِ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا، أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ أَحْوجُ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تُقْرِي فِيهَا الضَّعِيفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَتَطْلَعُ مِنْهَا الْحَقُوقَ مَطَالِعُهَا فَإِذَا أَنْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ، وَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُوا إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: وَمَا لَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ الْعِبَادَةُ وَتَخْلَى الدُّنْيَا، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: "يَا عَدِيَّ نَفْسِهِ لَقَدْ إِسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، أَتَرَى أَنَّ أَهْلَكَ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهَوُوَ يَكْرَهُهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى مَنْ ذَلِكَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُوعَةٍ مَلْبَسِكَ وَجَشُوعَةٍ مَأْكَلِكَ. قَالَ: وَيَحَكَ إِنْ لَيْسَ كَأَنْتَ، إِنَّ إِيَّاهُ فَرَضَ عَلَى أَرْبَعَةِ الْعَدْلِ أَنْ يَقْدَرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَدَبَّعُ بِالْفَقِيرِ فَقَرُّهُ" (1). 12 - ونقرأ في رواية أُخْرَى عَنْ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ (صلى الله عليه وآله) فِي حَدِيثِهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي مَسْأَلَةِ ذِمِّ الرِّهْبَانِيَّةِ وَالْعِزْلَةِ عَنِ الْمَجْتَمَعِ وَأَنَّْهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَوْعٌ مِنَ الرِّهْبَانِيَّةِ فِي ظُرُوفٍ خَاصَّةٍ وَاسْتِثْنَائِيَّةٍ لَمْ تَكُنْ مِنْ صَمِيمِ الدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ تَدْرِي مَنْ أَيْنَ أَحْدَثَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرِّهْبَانِيَّةَ، فَقُلْتُ: إِيَّاهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) عَلَيْهِ وَآلِهِ: "ظَهَرَتْ عَلَيْهِمُ الْجَبَابِرَةُ" بَعْدَ عَيْسَى يَعْصِلُونَ بِمَعَاصِيهِ إِيَّاهُ وَغَضِبَ أَهْلُ الْإِيمَانِ فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزِمَ أَهْلُ الْإِيمَانِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ فَقَالُوا إِنَّ ظَهْرَنَا لِهَؤُلَاءِ أَفْنُونَا وَلَمْ يَبْقَ لِلدُّنْيَا أَحَدٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، فَتَعَالَوْا نَتَفَرَّقْ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ إِيَّاهُ النَّبِيُّ الَّذِي وَعَدْنَا بِهِ عِيسَى (عليه السلام) يَعْذُّونَ مُحْصَدًا (صلى الله عليه وآله) فَتَفَرَّقُوا فِي غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَحْدَثُوا رَهْبَانِيَّةً" (2). وعلى أية حال لم تكن الرهبانية من صميم الديانة المسيحية، بل كانت سلوكاً خاصاً ظهر في ظروف خاصة على بعض أنصار السيد المسيح (عليه السلام) حفاظاً على أنفسهم. 1. نهج البلاغة، الخطبة 209. 2. مجمع البيان، ج5، ص243، ذيل الآية 27 من سورة الحديد.